الادب العربي وطرائق تدريسه

الدكتور نوري حمودي القيسي
استاذ في كلية الاداب : جامعة بغداد

تشكل الدراسات الادبية رافدا حيا من روافد الثقافة ، ونبعا اصيلا من ينابيع اصولها المثمرة التي تمكن الفكر وتوجه البناء الانساني لانها تمثل الواقع ، وترسم ابعاد المستقبل وتثبت نوازع الانسان في مختلف الوان الحياة وتكشف عن تصوراته سلبا وايجابيا وقد قدمت الدراسات الادبية خلال امتدادها الزمني ومعالجاتها الموضوعية في كثير من الاحيان ، اشكالا من النماذج التي شاركت في دراسة الواقع الاجتماعي والانساني والثقافي ، الى جانب تصوير النزعات النفسية التي كانت تلوح من خلال التعامل الانساني والسلوك الاجتماعي وتحديد العلاقات وطبيعتها اليومية • وقد اصبحت هذه الدراسات مجالا من مجالات البحث في مختلف الميادين ، لانها عكست واقعا ملموسا ورسمت صورا انسانية واضحة ، وتجلت من خلالها الوان من النوازع •

وقد اقترنت الدراسات الادبيةبتاريخالادب واصبحت جزءً منه ، وارتبطت احداثها باحداثه، وصورها بصوره، وضاقت بينهما الحدود ، وتعمقت الاسباب واتصلت الاشكال حتى خضعت الدراسات الى احداث التاريخ ، وتأثرت بوقائعه ، وحسبت في اطار سنواته وفي حدود عصوره وهي ظاهرة تحمل من خلالها الادب احكاماً قاسية ، وتعرضت فنونه لمقاييس غير محكمة ، واخضعت اتجاهاته لمنطق تاريخي بحت • وهي امور لايمكن تجاوزها اذا اردنا انتعرض

لكل اتجاه ، او نقف عند كل تيار ، او نحدد خطوات كل مسار . لان هذه القوالب حشرت الادب في اطر تقليدية ضيقة ، واجبرته على أن يقع في حدود هذه الاطر ويستجيب لكل ظاهرة يعكسها التاريخ ، وينطلق وفق مفاهيم ألزمته بها طبيعة الاحداث .. فذابت كثير من اصوله في ملامح التقليد ، واندثرت اشكال فنونه في امتداد الزمن المفروض ، واختزلت شوامخ اعلامه في خضم الاعداد المقررة من نماذجه .. فعاشت النماذج الادبية ضعيفة مملة لكثرة تكرارها باهتة ذاوية لطول ماتناولتها الايدي، وتعاورت عليها الالسن، وتوالت عليها الشروح التقليدية المبتسرة . وبقيت العصور التاريخية اغلفة سميكة ، تحجب الرؤية من خلالها ، وتموت قدرة التجاوز فيها ، وتطبق بكل حدودها وتواريخها على النص الادبي لحصره في الفترة الزمنية ، وكأن الادب اقترن بالعصر ، ووقفت مشاعر الشعراء عند حدود الزمن ، أو انتهت بحدود قيام الدولة ، او اختلفت باختلاف الحكم القائم ، ان تضييق دائرة العصور وربط الادب بالسياسة وألحاقه بالاحداث السياسية وتوزيعه وفق اقسامها واشكالها يجعل الادب تابعاً للاحداث كما دفع الباحثين والدارسين الى التفتيش عن النص الملائم والاتجاه الموافق لتلك الاحداث محاولة لابراز صورة التأثر بها وتأكيد جانب الانقياد لاسبابها . فالسياسة في عرف هذا التقسيم هي المحور المحرك ، وهي الدافع الحقيقي للادب ، وان الادب هو الصورة المعكوسة للجانب السياسي ، وهذا يفقد الادب حركته الاجتماعية، ويميت في اعماقه قدرة الانسان العربي المبدع الذي حددت عناصر تفاعله . ان احداث العصر السياسية لايمكن ان تمثل بالضرورة صورة الحياة الادبية ، وان محاولة وضع المقاييس الثابتة واضفاء صفة العصر رقيا وازدهارا ، تخلفا وانحطاطا على الادب لايمكن ان تقوم اساساً في تقييم الادب ، او تعطي الشكل المتميز له ، او تبرز القسمات الانسانية لحركة الشعر او النثر[1] .

---

(١) عالج الدكتور طه حسين هذا الجانب في كتابه ذكرى ابي العلاء ، وفي الادب الجاهلي ووقف عنده وقفه طويلة الدكتور شكري فيصل في كتابه القيم مناهج الدراسة الادبية في الادب العربي .

ان التمسك باستمرار هذه النظرية ، والانطلاق من مرتكزاتها في تحديد طبيعة ادب العصر ، وتثبيت خصائصه ، والحرص على حشر النصوص او تجميعها من اجل تأكيد هذه الحدود ، او تثبيت تلك الدوافع ، ادخل الادب في اطار التشخيص الضعيف ، والقى عليه اعباء النظرة التقليدية وقد ظلت اثار هذا المنهج تنحت النصوص نحتا ، وتبتسر الاعلام ابتسارا وتضيف الى العصر تراكمات الاحكام بعيدا عن التحليل ، وبمعزل عن النصوص التي يمكن ان تقدم للادب خطا جديدا ، وللحركة الفكرية زادا متميزا ، وللواقع الاجتماعي ابعادا انسانية تكشف عن طبيعة العلاقة الفردية او الجماعية ، فالحياة السياسية لا يمكن ان تكون ضابطا للتحرك الادبي في كل الاحوال واذا قدر لهذا المقياس ان يصبح في مرحلة او يحقق النجاح في حقبة من الزمن فانه لا يمكن ان يظل معيارا مستديما في التقييم ، واساسا مستمرا في تحديد عناصر الربط والنجاح ، والذي نعلمه ان واقع الحال يختلف اختلافا كليا عن هذه المقولة ، هذا اذا سلمنا بالتاريخ وباحكامه وضوابطه ونقوله ودراساته وفق المنطلقات القديمة ، او التصورات التي اصبحت موضع نقد حاد ، ومجال مناقشة واسعة . فالتاريخ بحاجة الى اعادة نظر ، وفي تقييم احداثه مجال واسع ، وفي تأكيد جوانبه حديث طويل .

ان المحاولات الاخيرة التي استهدفت دراسة التاريخ ، والآراء الكثيرة التي قبلت بشأنه والمعالجات التي وضعت الحدود الاساسية لما يجب ان يدرس منه ، وما يجب ان يبرز من احداثه ، وما يجب ان يؤكد عليه . تمثل التحرك الجديد الذي سيعطي لتاريخ الامة وجهه الحقيقي ، وتمثل التوجه الصائب في اليقظة الفكرية التي يجب ان يضطلع بها المفكرون والمثقفون في الربع الاخير من هذا القرن ، لتتمكن الامة من اعادة النظر في بناء كثير من مكوناتها التي بقيت ترسم لمسيرتها خطها غير الحقيقي ، وتوجه اجيالها الوجهة غير

الصائبة وتمكن في نفوسهم عوامل الضعف والتدهور والانحطاط ، وتغذي روافد الانقسام ، ومسارب التمزق ، ان هذه المحاولات التي بدأت تأخذ مجالها في الوسط الجامعي ، وحجمها في عملية التأليف الواسعة في اطار المناهج المدرسية المقررة لا يمكن ان تكون بمعزل عن دراسة الادب الذي ارتبط بالتاريخ ، واشترك في كثير من احداثه عاملا مؤثرا ومتأثرا ، فاعلا ومنفعلا ، لتتمكن الدراسة الادبية ان تعيد لاصولها ما فقدته .

ان انتهاء تدريس الادب العربي وفق العصور انتهى الى التحجر والجمود وبالتالي الى الضعف الذي استبد بالادب حتى اصبح غير قادر على مواكبة العصر ومسايرة الاحداث واخيرا الى العزلة التي يشعر بها طلبتنا وهم يرددون العصور ترديدا مملا غير قادر على ايجاد المخرج المناسب من دائرة الضغط التقليدي ، عصرا واعلاما ونماذج .

ليس من السهل علينا وضع اسس مدروسة جديدة في تدريس الادب ، او تهيئة اتجاه جديد يأخذ على نفسه استيعاب الادب العربي ، الذي امتد زمنه امتداداً عميقا واتسعت رقعته اتساعا شاسعا ، والاحالة به وبفنونه واعلامه واغراضه احاطة تلم بها الماما ، لان ذلك يعني الوقوف على كل ما قيل او نشر او كتب ، ويعني دراسته دراسة تمحيص وتأمل واستقراء الاحكام استقراء منطقيا ، واستيعاب التيارات الادبية والاجتماعية والنفسية التي صاحبت كل غرض ورافقت كل فن ، واثرت في اتجاه كل علم ، من اجل استخلاص الصورة الواضحة ، والوصول الى الحكم الذي يحقق للادب صورته وللاديب طموحه الذي كان يريد ان يصل اليه .. ان هذه النظرة تمثل الطموح الحقيقي لما نريد ، والصورة التي يجب ان تكشف من اجلها الجهود ، والهدف الذي يجب ان يسعى اليه كل مثقف ومفكر واديب لتتمكن هذه الامة من اعادة النظر في مكوناتها الادبية اعادة موضوعية سليمة لتكون قادرة على فرز الواقع الادبي وتحديد الجوانب الانسانية التي يمكن ان تضعها موضع المرتكزات في البناء الادبي الجديد .

ان سيطرة النظرية المدرسية على المناهج الدراسية ، واستقطاب التأليف حول مفاهيمها وتوجيه مفردات المناهج الى الوجهة التي تؤكدها وتثبيت الاصول التي تبنتها جرت على الادب امورا كثيرة ، عانتها الاجيال ، وتحملت اعباءها قوافل الباحثين الذين اضطروا الى تحديد احكامهم من خلال المنطلقات المحددة وتقييم الاشكال الادبية وفق المقاييس المعروفة والمواصفات التي ظلت تدور في اطار الزمن المحدد والاشخاص المرسومين والاطر النقدية التي سلمت بها الاجيال لما قيل بشأن كل فن وشاعر وظاهرة ...

ان سيطرة النظرة المدرسية التي اكدت ربط الادب بالسياسة وانتهت اخيرا الى تفسيرات بعيدة في كثير من الاحيان عن واقع الحياة ، لم تكن النظرية الوحيدة التي سادت تدريس الادب او سحبت احكامها على كل جوانبه واتجاهاته وتياراته ، وانما استطاعت ان تبسط ظلا واسعا ، وامتدادا عريضا على جزء كبير من منشورات الادب ودراساته واننا نستطيع ان نؤكد انها قدمت بعض الحلول لتحديد المفاهيم وشاركت في تقريب الاسس التي استطاعت ان تمهد لكثير من الدراسات الادبية خلال الفترة التي عرفت بها وتأخذ دورها في التحليل والتحديد والتقييم .

لقد كان المجال مفتوحا امام ظاهرة دراسة جديدة تعتمد الفنون الادبية اساسا في تحديد نشأة كل فن وتطوره ، وما صاحبه من مظاهر وعلق به من اشكال جديدة محاولة للوقوف عند اقدم الفنون ـ وهو الشعر ـ لابراز معالمه الواضحة وبداياته الاولى وفنونه الشائعة وبعده النثر ثم الخطابة وهكذا تستمر عملية دراسة هذه الظواهر لتوثيق الصلة بين النصوص الادبية المتشابهة والمقاربة التي ابتعدت عن مجال الدراسة فاصبحت شبه منقطعة عن كل دارس . ان متابعة الظاهرة والسير في ركاب القصائد او المقطعات او

النماذج وفق التخطيط الذي يجمعها في اطار فن واحد ، او اتجاه موحد يتيح لكل هذه النماذج ان تقدم عطاءها وتثري البحث بفوائد جديدة ، ومشاعر صادقة ومنطلقات تعبيرية اصيلة او شكلية ، دلالات عميقة ، تعجز في كثير من الاحيان ان تقدمها النماذج المشهورة أو الشعراء الذين برزوا من خلال التقسيمات القديمة .

ان محاولة استقصاء الفن الادبي ومتابعة تطوره وما استجد فيه من متطلبات وعالجه من موضوعات ، وعكس فيه من اراء وعبر عنه من مشاكل او علاقات اجتماعية تمثل اتجاها آخر يوسع افاق البحث ، ويعمق تحليل النصوص ، وينوع الابعاد التي يتحرك في اطارها النص وقد استطاعت الدراسات الاخيرة والتحقيقات الواسعة لدواوين الشعر العربي التي جاوزت حدا لم تبلغه في عصر من العصور السابقة ان تغطي فترات زمنية عريضة ، وتقدم نماذج جديدة لم يسبق لها ان تنشر على شكل مجاميع ، وقد قدمت هذه الدواوين بدراسات وقفت عند الملامح التي برزت في شعر كل شاعر ..

ان دراسة الادب وفق المنظور النظري للفنون الادبية سوف يتجاوز بشكل حاسم ظاهرة العصر وحدوده ،وربما ستبتعد اسماء بعض الاعلام الذين ارتفعت اسماؤهم شوامخ بارزة وسيتجه الى كثير من المغمورين الذين انحسروا عن دائرة الضوء وعاشوا في زوايا النسيان ، لان العصر تجاوزهم لاسباب ، والادب اقفل ابوابه في وجوههم لدواع ، وربما يجد الدارس عندهم مالا يراه عند غيرهم ، ولعل الامر يدفع الباحثين الى الاستشهاد بنماذج عدى بن زيد العبادي اكثر من نماذج طرفة بن العبد ، وبتحليل شعر ابي دؤاد الايادي اكثر من تحليل شعر الحارث بن حلزة ، وبالانتفاع من شعر زيد الخيل الطائي اكثر من الانتفاع من شعر عبيد بن الابرص .

ان توحيد دراسة النصوص ومحاولة وضعها وضعا زمنيا مرتبا ، وتنسيقها تنسيقا يحدد الصورة الاولى وما اضيف اليها ، واللون الاول وما زيد عليه والصياغة التقليدية والابداع الذي زوق ابعادها ، او جدد مضامينها سوف يترك الاثر الكبير في متابعة الشكل الفني وتقدير الشاعر المبدع وتحديد الخطيب الاول ، وتثبيت اركان العمل الفني الاصيل • وفي ضوء هذه الحركة التي ستدفع الدارسين الى تقليب الصفحات الكثيرة ، واستخلاص الاشكال الموحدة ، والوقوف على الحالا تالتي تبدو عليها سمات التأثير او التأثر • تتركز نظرية دراسية واضحة ، وتنفرد خصائص اتجاه ادبي جديد يمكن ان يشارك الى حد كبير في تقديم نماذج غير النماذج التي الفناها والكشف عن واقع ادبي واجتماعي وفكري وسياسي غير متميز في النصوص الاخرى التي درست من خلال النظريةالمدرسية •• ومع هذا فان هذا التوجيه لا يعني ان دراسة الادب ستكون ملائمة لما نريد او متفقة مع الخط الفكري الذي نسعى اليه من خلال ملاحظاتنا •

ان هاتين المدرستين لا تشكلان الاصول الاساسية في توجيه دراسة الادب وانما هناك اتجاهات اخرى لا اريد الحديث عنها لانها تمثل محاولات غير مكتملة في التوجيه مثل دراسة الادب في ضوء خصائص نظرية الجنس • ودراسته في ضوء النظرية الثقافية ، ونظرية المذاهب الفنية والنظرية الاقليمية وكلها تنبثق من نوازع محددة • وتنطلق من حدود ثقافية غير مستوعبة لتجربة الادب العربي • وربما حددت ابعاد كثير منها بعيدا عن خصوصية الدوافع الحقيقية التي شاركت في العمل الادبي واثرت في اتجاهاته التي حددها الادباء فجاءت غريبة عليه غير مؤتلفة مع ظروفه واحواله •

ان مشكلة تدريس الادب لا تختفي وراء النظرية التقليدية التي التزمت بتحديد العصور او النظريات الاخرى التي اخذت على عاتقها الاندفاع وراء

كل اتجاه .. ولكن الواقع يختفي وراء امور كثيرة تتعلق بالاحكام النقدية التي اطلقت على الادب وعلى الشعر والشعراء ، فحددت الخطوات ، وحجرت الابداع ، واخضعت الامور الى مسائل اصبح تجاوزها امرا صعبا ، والتحدث بغيرها يشكل خروجا على المألوف ويمكن ان اسميه (خروجا على عمود الشعر) كما قيل فالاحكام التي رددها ابو عمرو بن العلاء بشأن النابغة وغيره ، وما قاله الاصمعي عن زهير واضرابه من الشعراء والمقاييس التي قيلت بشأن امرىء القيس وطبقته اصبحت امورا مسلما بها واحكاما غير قابلة للنقاش ، ومقاييس غير مقبولة في الواقع الدراسي او النقدي ، وقد دفع هذا الحرص والالتزام الى توجيه الاقوال في اتجاه النظريات التي جاءت على لسان ابي عمرو بن العلاء والاصمعي وابن سلام وابن قتيبة والمرزباني والعسكري وابن رشيق وغيرهم من اعلام النقد ..

ان هذه الاحكام لابد أن تأخذ دورها في المجال النقدي ولا بد ان تكون قائمة على اسس وجد فيها النقاد القدامى مجالهم في الانطلاق ، ولا بد للدارس من الوقوف عليها او التأكد منها ، ولكننا ايضا ملزمون بمتابعتها ، والتحقق من مطابقتها ، والانصراف الى معالجتها معالجة جديدة ، وتناولها تناولا شاملا يعطي هذه الاحكام سعة الامتداد وسلامة التقييم السليم ، وصحة التأكيد ..

فالاستاذ او المدرس ظل يؤمن بهذه المقولات ايمانا مطلقا وظل يدور في اطارها دورانا افقده قدرة المتابعة ، وسلب منه حق التثبت من مدى صحة هذه المقولات ، فنحن لم ندرس ديوان امرىء القيس او زهير او النابغة دراسة مفصلة ، محاولين الوقوف عند سلامة الاحكا مالتي قيلت بشأنهم ، ومتابعين الاراء التي وردت بحقهم ، ومتحققين من الظواهر الادبية او اللغوية او الفنية او النقدية التي وصفوا بها او اشتهروا بالتعبير عنها . وما يقال عن

هؤلاء يقال عن غيرهم وعن الاغراض التي عالجوها والفنون التي عرضوا لها ، والمعاني التي حددوا فيها ، واشكال البيان التي استخدموها ومن هنا كان جور الاحكام مفروضا ، وسيطرة الخضوع واقعة ، ومحاولة التجديد لازمة من هذا اللوازم التي ظل ادبنا يجر من ويلاتها اصناف الاضطهاد ، فوقع الشعراء في دائرة الضغط الزمني ، وحسبوا في مواقع الاحكام السريعة ، وقيدوا باغلال النقود الانية ، ودفعوا دفعا الى ارتداء اردية حملتها اليهم مقولة مقطوعة ، وحكم فرضته عوامل ، ومنطلق لم يكن لهم فيه يد ..

ان هذه النظرة الى النقد والادب تدفع الباحثين والدارسين الى ان يعيدوا النظرة في الاحكام ، فيعودوا الى الشعر يقرأون ابياته ويحللون احكامه ، ويدرسون الشعراء من خلاله ، ويستشفون الواقع من احداثه ، ويقيسون الاغراض من خلال معطيات المعاني التي زخرت بها القصائد بعيدين عن الاحكام التي تفرضها النوازع ، والمقاييس التي خلفتها التزامات العصور ، وثقافات الزمن السحيق ، ورواسب المدارس الادبية الضائعة .. وبعدها يقارنون الصورة بما قيل بشأنها ، والنتائج بما حدد لها ، لوضع الدراسة موضع التطبيق ، والتحليل موضع الاستئناس .

ان هذه الملامح تشكل الصورة الجديدة التي يجب ان تبرز ، والواقع الادبي الذي يمكن ان يعمم ، والشكل الحقيقي الذي يجب ان يسود لنعطي الطالب النص السليم والحكم الصائب ، والنقد الموضوعي ..

انني استطيع ان أؤكد ان الدراسات النقدية التي ابتلى بها النقد العربي الحاضر لم تكن الا صورا مكررة لنماذج قديمة والواح مماثلة لاشكال مضغتها العصور ، ولاكتها الاجيال ، وزخرت بها بطون الكتب ، فاعدناها بقالب عصري ، وكررناها في كتاب طبعت اوراقه على ورق ابيض ، وطويت صفحاته في غلاف مزركش .. اما الاراء فهي هي ، والاقوال كما قالها القدامى قبل مئات السنين .. لم تتابع ولم تناقش ولم يكتب لها ان تأخذ دورها في التطبيق .

ان هذا الجانب يوضح بعدا آخر من ابعاد المشكلة التي لا اريد ان اذهب ابعد في سردها لتكـون مجالا من مجالات الدراسة ، ودائرة من دوائر الاستقطاب الثقافي من اجل خلق المدرسة النقدية التي تستطيع ان تضطلع بمهمة العمل وفي اطار المنظور الادبي الصالح ..

لقد جرت هذه الاحكام على ادبنا مقولات خطيرة ، فـوصف الادب باوصاف بعيدة عن واقعه ، وصنف الشعراء في مجاميع غريبة ، فهذا شاعر احكمته الصنعة فاخضع لمدرسة معينة . وذلك شاعر مطبوع لم تستقطبه مدرسة عبيد الشعر فجرى على طبعه دون تكلف وهذا شاعر ضعف شعره في الاسلام لان الشعر في عصر الرسالة كانت له احكامه وهذا شاعر تكسب في شعره وامرؤ القيس سبق العرب الى اشياء ابتدعها ، واستحسنتها العرب ، واتبعته فيها الشعراء باستيقاف صحبه والتبكاء في الديار ورقة النسيب ، وقرب المأخذ وشبه النساء بالظباء والبيض .. الخ ـ والنابغة احسن اهل طبقتـه ديباجة شعر ، واكثرهم رونق كلام واجزلهم بيتا الى آخر هذه الاحكام التي ظلت تشق طريقها في اذهان الدارسين ، وتعمق دلالاتها في بحوثهـم دون متابعـة ..

انني احس بان امثال هذه الاحكام لابد ان تعاد في ضوء التناول الجديد ، وتقوم من خلال المحاكمة السليمة ، لتأخذ موقعها الشمولي ، ودرجتهـا الصائبة ..

واذا حاولنا تجاوز الاحكام النقدية واجهتنا مسألة اخرى تخص الطريقة التي عولجت بموجبها دراسة الاغراض الشعرية وحددت بموجبها اتجاهات الشعراء ، فالمديح صورة للتملق والتكسب بموجبه تنعدم كرامة الانسان ، وتموت نزعة التطلع ، وتندفع شهوات الانتفاع الشخصي وفيه يتحول الشاعر

الى انسان تستملكه المادة ، وتهز مشاعره الاعطيات وفي ظل هذه الاحكام تتحول قصائد الشعراء العظيمة وجهودهم الانسانية الرائعة الى بضاعة رخيصة، سحقت فيها المشاعر ، وبيعت في موازينها الاحاسيس رخيصة ،وبعدها نريد من طلبتنا ان يحترموا ادبهم ، ويتعلقوا بنماذجهم ، ويلتزموا بالقيم التي حملها اليهم ادبهم العربي عبر مسيرته ..

والهجاء نموذج للسب والشتيمة ، ومجموعة من الاوصاف التي حاول الشعراء ان يلصقوها بخصومهم لانهم امتنعوا عن العطاء ، وكأن الشعراء كانوا يوظفون الشعر لسلب الناس اشياءهم وتجريدهم من خصائصهم ، واجبارهم على تقديم العطاء وكأن الشعر سلاح من اسلحة الارهاب التي تشهر امام كل انسان .

ان استمرار النظرة التقليدية الى شعر المديح والهجاء قد تركت اثارا سلبية في تقييم هذا الشعر وتحديد معانيه وتحليل مضامينه ، وقد دفعت الباحثين والدارسين الى ان يقفوا منه موقفا محددا ويتحركوا نحو نصوصه تحركا حذرا ، وقد ادى هذا الموقف الى اهمال قدرات شعرية كبيرة وترك مجاميع من النصوص اجهدت اجيال الشعراء نفسها عبر العمر الطويل للأمة لتقديمها ثمرة فنية ، وافكار انسانية ، ومجالات حملت القيم الاجتماعية والانماط السلوكية وحددت طبيعة العلاقات التي كانت تحرك العوامل الاساسية للمجتمع العربي عبر فتراته المختلفة .... ان اعادة النظر في اغراض المديح والهجاء وتحليل مضامينها وفق المفهوم الذي يعد المديح محاولة من الشعراء لرسم الصورة النموذجية والدعوة الى الالتزام بالمثل العليا التي تعارف عليها المجتمع وتحديد الأسس التي يجب ان يتصف بها الممدوح ، واشعاره بشكل غير مباشر للتوجه نحو القيم الحقيقية التي اصبحت جزء من

المرتكزات التي يعتمدها المجتمع ، وتسعى الى تحقيقها الامة ، وتتطلع الى الالتزام بها مجاميع البشر وجماهير الناس ، واستخدام الاسلوب التوجيهي ان هذه المحاولات التي كان الشعراء يحملون لواءها فينطلقون معبرين عن التطلع الانساني المتمثل في الحصيلة الشعرية المتكاملة التي كانت تاخذ الشكل الاعلاني الذي ينشره الشاعر في محفل رسمي او مجتمع عام او مجلس اخواني ، او مناسبة دينية او قومية استطاعت ان تشارك في تأكيد الوعي ، وتساهم في تثبيت المفاهيم العادلة التي ظلت الغاية الحقيقية لكل التطلعات وقد اكتسبت جانب الاحترام ، وصورة الالتزام لان الشعراء كانوا وما يزالون يمثلون القادة والرواد في المجتمع ، وان القصائد التي ينظمونها والمعاني التي يتطرقون اليها • والمفاهيم التي يطرحونها ، تمثل في كثير من الاحيان ضمير الامة الواعي ، وصورة النزوع الحقيقية ، ونموذج الدعوة التي تشتاق اليها النفوس، وتتطلع اليها الجماهير •

ان قصيدة المديح كانت ترسم هذه الملامح ، وكانت تنشد هذا الواقع ، على الرغم من المبالغات التي تخالط الكثير منها ، والكذب الذي يشوب بعضها، والمطامع الفردية التي كانت تدفع جانبا منها لكن الواقع التحليلي للقصيدة ، والمضمون الفكري الذي يتخلل الابيات كان يشكل الطموح المشروع للحياة ويصور النزوع الانساني الذي يساور النفوس ، ويرسم النموذج المنتظر للانسان الذي تريده هذه الجموع ويحدد ابعاد الحاكم الذي يجب ان يقود المسيرة او يحقق الفوز ، او ينشر العدالة ، ويأخذ بيد هذه الامة نحو الطريق الذي رسمته لنفسها وقد كانت ملامح الدعوة الى الاقتداء بابطال الامة واستلهام العدالة من رجالها الخالدين ، واستشهاد الشعراء بمواقف الصمود المنتزعة من التاريخ ، كانت دليلا من ادلة الارتباط الذي يدعو اليه هذا الغرض ولعل قصائد جرير والفرزدق والراعي وبشار وابي نواس وابي تمام

والبحتري والمتنبي وابي فراس والشريف الرضي والشعراء الاخرين الذين لم تدخل قصائدهم التي قالوها في المديح بسبب السياج الزمني المفروض وقيود المدرسة التقليدية ، تشكل المؤشرات الواضحة في اعادة النظر في الشعر العربي في ضوء مقولات جديدة ، وتناول مغاير ، وتحليل المضامين تحليلا اجتماعيا ونفسيا مرتبطا بالواقع الاجتماعي والنفسي الذي كانت تعانيه الامة ، وتسعى اليه من خلال القنوات الشعرية السليمة والاحاسيس الفكرية التي كانت تجد في الشعر مجالها الوحيد للتعبير .

اما الهجاء الذي اصطلح على تعريفه بفن الشتم والسباب ، او نقيض المدح كما كان يقول قدامة بن جعفر (توفي عام ٣١٠) فقد سار هذا الفن في اتجاهات ثلاثة ، الهجاء الشخصي والاخلاقي والسياسي . وقد اعتمد هذا الفن بشكل واضح على دقة الملاحظة والاسلوب اللاذع ، والذكاء المفرط والفطنة في تحديد النقص ، والسخرية الموغلة ، والقدرة على التماس الصور التي تتضح فيها العيوب الى جانب المهارة التي يستخدمها الشاعر في انتزاع الاشكال من القيم العصرية والتقاليد السائدة وقد استطاع الشعراء ان يستخدموه سلاحا من اجل الانتقام من خصومهم ، وفضح الممارسات اللااخلاقية واللاانسانية التي كان يرتكبها البعض ، وتجريد المهجو من القيم التي اعتمدها المجتمع وامنت بها الجماهير ، لاسقاطه ، وابعاده عن الموقع المحدد له ، والايغال في رسم الصورة الساخرة وتجسيد الشكل المزري للرذائل ، والصفات القبيحة وابرازها ابرازا مشينا ، وتهجينها تهجينا مفضوحا ، لتعريتها وكشفها .

ان هذه المهمة التوجيهية ـ على الرغم من اخفاء بعض الدوافع وراء بعض صور الهجاء واتخاذ هذا الغرض في بعض القصائد وسيلة من وسائل الابتزاز والتهديد ، الا ان هذا لم يحل دون ظهور الصورة الاولى التي كان الشاعر

يريدها من قصائده ، ويسعى اليها من خلال توجيهه ويدعو الى تأكيدها من خلال صوره ومعانيه ، فالصورة التي تؤكد رسم القيمة المرذولة وتحدد ملامح الانزلاق الشائن ، وتجسد الصفة التي اجمع الناس على رفضها ، والموغلة في تقديم الشكل الذي يدعو الناس الى السخرية ، ودفعهم الى الاستهجان • ان هذه المهمة كانت عاملا موجها من عوامل الابتعاد عن مثل هذه الصفات ، او محاولة ناجحة من محاولات الكشف عنها بشكل اعلامي ، واعلان عام لكل الناس ليكونوا على علم بمثل هذا الانسان الذي يتصف بهذه الصفة ، وبهذه المجموعة التي اتخذت لنفسها مثل هذا الرداء ، وبهذه الفئة التي ادعت لها امرا لا تستحقه وليكونوا على علم بالصفات الخلقية او النفسية او الانسانية التي عرف بها فلان من الناس فكان مثار سخرية ، ومجال دعابة ، وصورة استنكار •

ان هذه الدعوات كانت تاخذ حجمها الاجتماعي في اوساط الناس ، وكانت تؤثر في توجيههم تأثيرا محسوسا ، حتى اصح الناس الذين يتعرضون لمثل هذا النقد امثولة لكل الناس وصورة مرذولة لهم وبهذا التوجيه تدرس قصائد الهجاء ، وتحلل المعاني ، وتثبت الصفات التي اتفق المجتمع على رفضها ، وامن الناس بضلالها ، وحددوا لهم موقفا منها ، وبهذا التوجيه يعاد النظر في دراسة هذا الشعر الذي استطاع الشعراء ان يعبروا من خلاله عن ذكائهم المفرط وقدرتهم الخلاقة ، وابداعهم الذي لا ينتهي الى حدود ، بهذا التوجيه يتمكن الدارسون من الوقوف على الجوانب الاجتماعية التي سادت العصر ، والقيم الاخلاقية التي آمن بها الناس ، وحددوا علاقتهم من خلالها ••• وليقفوا على حركة العصر ، والعوامل الدافعة ، والاسباب المؤثرة في احداثه •

ان دراسة شعر الهجاء في ضوء هذا التصور ، وفي ظلال هذه المعاني سيعطي الادب صورة جديدة ، ويمنح رجاله ابعادا مغايرة ، ويكتب لفنه

خلودا اصيلا ، لانه كان شعر الحقيقة وصورة النقد ، وصوت الحياة الاجتماعية المتحركـة .

وما يقال في المديح والهجاء يقال في الحماسة والفخر والغزل ، والاغراض الاخرى التي لم نجد لها صورة في اغراض الشعر العربي.ومن الغريب ان تركز المدارس الادبية على اغراض المديح والهجاء والغزل والخمريات والزهديات وتترك الجوانب الاخرى التي اشرقت فيها النفس العربية وتميزت فيها الصورة الادبية ، وتجلت من خلالها بطولة الشعب العربي ، المتمثلة في اغراض الفخر والحساسة والرثاء ... ومن الغريب ان تدرس تلك الاغراض في حـدود الصورة المعتمة ، وحدود المعاني الشاحبة ، واطار الجانب السلبي ، لتعكس الروح التي وقفت وراء الغرض الحقيقي وتميت روح التطلع الذي واكبت حركة الشعر عبر امتداده الطويل ، وخلال مسيرته الظافرة طوال اكثر من الف وخمسمائة سنة ، ان خلود الشعر العربي هذه الفترة ، وتداوله على السن ابنائه دون انقطاع وقدرته على حمل مطامح الامة ، ومشاعر الابناء ، والتزامه بالخط الفكري الواضح الذي رافق المسيرة واحتواءه لفكرها الخـلاق ، ورسالتها الانسانية ،ومبادئها الاصيلة يمثل الابداع الفني الذي مكن الشاعر من استيعاب هذه القناة ليصب فيها مشاعره ويسكب في روافدها عبقريته وابداعه، ويدفع الى اجياله القادمة تجربته وحكمته ادبا حيا وعطاء خيرا ، ونضجـا حضاريا متفتحا ..وقد بقيت هذه الادلة رمزا من رموز استمراره ، وصورة من صور خلوده . ولا يمكن ان يتناسب هذا الخلود مع تلك الصورة التـي حاول الدارسون ان يلصقوها بالادب ، ومع التفسيرات التي تركت شعراءه نهبا لاحكام قاسية ، وتفسيرات غير موضوعية ، ونقود لا تستند الى دراسة موثقة ، ان الدعوة قائمة الى اعادة النظر في دراسة اغراض الشعر الاخرى كالحماسة لتحليل مفاهيمها ، وتحديد مفهوم البطولة ، ورسم ابعاد التضحية

من خلال معانيها وفرز الصور الخالدة التي كانت تؤكدها ودراسة العوامل النفسية التي كانت تدخل عنصرا واضحا في الثبات ، وعاملا حاسما في النصر ، وقدرة خلاقة في الذود والاندفاع ، وتحليل العوامل الاجتماعية التي كانت تختفي وراء كل انتصار ، فتلزم المجتمع بتمجيد هذه القيم ، وتدفع الناس الى الاقتداء بها والسير في طريقها ، والدفاع عن صورها والانتصار لها ، وبالتالي تأكيد المثل التي يندفع من اجلها الانسان للتضحية ، ليصبح النموذج المقتدى والرائد الذي تهتدي به الاجيال • وقد ترك الشعر الحماسي اثاره الواضحة في الشعر العربي ، وشغل مساحات واسعة من القصيدة العربية • لأنه رسم الصورة التي يعتز بها الناس • وحدد الشكل الذي يستحق التضحية، ووضع الحدود التي دارت في اطارها المعاني وقد تخلل الشعر الحماسي كل الاغراض الشعرية واستخدم في معظم المجالات فالفخر والمديح والرثاء والغزل والوصف كلها اغراض تنازعتها ابيات الحماسة ، ودخلتها وفق الاشكال التي فرضت عليها وعبرت عنها او استخدمت فيها

ولابد ان تأخذ دراسة هذا الفن وما تضمنه من معانٍ بعد طرح جانب المبالغة وتوجيه الغرض توجيها اخلاقيا وتربويا وفكريا ، من اجل وضع الاهداف التي رسمها موضع الاقتداء ، ودراسة الاساليب التي اكدت روح التضحية والبذل والصمود والفداء ، دراسة موضوعية ، وتعميق المفهوم الانساني لهذه القيم من اجل ترسيخ معانيها ، وتاكيد الالتزام بها وغرسها في نفوس الدارسين قيما اجتماعية سامية ، واغراضا انسانية رفيعة •

ان معالجة اغراض المديح والهجاء والحماسة في هذا الاطار تمثل التوجه الذي يجب ان تتحرك فيه كل الاغراض الشعرية والتناول الذي يجب ان تتناوله منه لتعطي الوجه الاخر الذي ظل بعيدا عن الدراسة وكان مقصودا

لذاته ، وظل صورة غير مرئية ، وكان اساسا في التصور وقد حاولت معظم الدراسات ان تسير في الركب بلا مناقشة ، وتخضع للانصياع بلا تامل ، وتدور في الفلك بلا استيعاب ، حتى اصبحنا نشعر ان هذا الادب الذي كان القناة الاساسية الواسعة التي جرت فيها عواطف الامة ونضجت في محتواها افكارها وتجاربها ، اصبح مادة غير نافعة لا تحوي الا الغث ، ولا تضم الا الصورة الهزيلة ، ولا تعبر الا عن العاطفة الكاذبة فكان الشعر صورة للتملق، او نموذجا للسب والشتيمة ، او وعاء من اوعية العبث او وسيلة من وسائل التسلية اللامسؤولة هذه الصورة الباهته تركت ملامحها على دراسة الادب ، فكان النابغة الذبياني والاعشى وحسان في ظل هذا التفسير نماذج للتكسب المهين ، والاستجداء المذل ، وكان جرير والفرزدق والاخطل والراعي جوقة شتم وجحفل مسبة ومجموعة ابواق اختفت وراءها المزاعم الباطلة ، وكان عمر بن ابي ربيعة وجميل بثينة وكثير عزة وغيرهم ، ارتال عبث ، واسراب عاطفة حسية ضائعة وكان ابو تمام والبحتري والمتنبي ، طلاب مناصب وعشاق مراكز ، يدفعهم الطمع ، وتستثيرهم المواقع فعاشوا ذيولا لا تحركهم الا الهبات المادية ... وما يقال عن هؤلاء الاعلام يقال عن كل اعلام الشعر العربي الذين عبروا عن ضمير الامة، واخلصوا النية من اجل تاكيد وجودها شعرا انسانيا مشرفا ولكنه تحول على ايدي الدارسين الى صور باهته ، وانقلب في احكام النقاد الى قوالب حسية فارغة .

ان هذه الصورة الادبية الضائعة اصبحت تمثل التصور المصاحب لكل الدارسين والباحثين والطلبة وبقيت ارتال المدرسين والمعلمين تعيد هذه الاقوال في الصفوف والكتب وتنشرها في مجالات الدراسة وتؤكدها في كل حديث واستمرت الحلقة المفرغة بين طالب ومدرس ، ومدرس وطالب وباحث ومؤلف ،

وبقيت الصورة الزائفة تتعمق في المناهج الدراسية والتأليف على امتداد المناهج في الوطن العربي ولم نجد من يتحرك للحد من اندفاعها ، والوقوف عند تيارها والانتصار لحركة الحضارة العربية التي اكدت وجودها في كل مجال ، واثبتت قدرتها في كل حركة وبقى تاريخ الادب الحافل بكل جانب بائس ، هو الصورة السائدة وبقيت النماذج الادبية الهزيلة هي اللوحة التي ترتسم عليها امال الامة خلال مسيرتها ، وبقيت الاحكام النقدية المرتجلة هي المقاييس الضابطة والتقيمات السائدة من اجل تحديد المركز ، هي الاسس الموجودة .

هذه محاولة لتقييم المناهج الدراسية وصورة سريعة للواقع المدرسي ، والطريقة المتبعة في تدريس الادب الذي يعد الركيزة الاساسية التي تعتمدها الامة في تثبيت قيمها وتأكيد اصولها ، وتركيز مثلها من اجل بناء الانسان العربي وتعميق انتمائه ، ولا بد لنا ونحن نقدم هذه الآراء من طرح منهج جديد او محاولة جديدة تعيد الى الأدب وجهه المشرق .....

ان اخفاق المدرسة التقليدية في تدريس الادب ، واخفاق الوصول الى توثيق الروابط بين النتائج الايجابية التي حققها الادب العربي عبر عصوره الطويلة وبين استيعاب الاجيال لهذه النتائج ، كان بسبب عقم الوسيلة المستخدمة في هذا الجانب ، وضآلة قدرتها على تحمل المشاعر الوجدانية التي حملها الادب والتجارب الانسانية التي مر بها الادباء وهم يخوضون الازمات الحادة ، ويتعرضون لاخفاقات تاريخية صعبة ، فالادب الذي تدرس بعض شوامخه لاسباب ، وتهجر اكداس الدواوين الاخرى التي شاركت في اعدادها تجارب الامة ، ومحاولات اجيال لايمكن ان يمثل الاصورة واحدة ، او وجها واحدا تبقى جوانبه الاخرى غير مضاءة ، وقد ظلت كل المدارس الادبية التي عالجت

تدريس الادب ـ على اختلاف اوجهها ، وتعدد اتجاهاتها ـ تلامس الظاهرة ملامسة سطحية ، وتعالج الظواهر معالجة شفافة .

وقد دفع ذلك كثير من الدارسين الى وضع مناهج جديدة ، وابتكار اسس حديثة لتغيير الطرائق المتبعة .. انني اذ أقدم هذا المقترح فأنني ارى دراسته دراسة موضوعية والاحاطة بابعاده احاطة علمية شاملة من اجل وضعه موضع التنفيذ لتغيير الصورة ، وتبديل الوجهة التي سار بموجبها ادبنا العربي .. ومن اجل توثيق اواصر الصلة بين اجيالنا التي بدأت تدرك ان امتها امة عطاء ، وان شعبها شعب تضحية ، وأن ادباءها أدباء التزام ، وضعوا الكلمة موضعها المناسب ووظفوا الحرف توظيفاً موضوعياً من اجل اسعاد البشرية واغنائها بالتجارب الانسانية واضافة الاشكال الحضارية التي انتجتها عقول ابنائها ..

ان مهمة الادب لاتكمن في العصر الذي قيل فيه النص ولا تكمن في الاغراض التي عالجها وانما العلة تكمن في طريقة التناول التي درس بموجبها الادب ، والتحليل الذي فسر به ، والتوجيه الذي وجه اليه ، والتعليلات السلبية التي طبقت عليه ، وفي ضوء هذه المعطيات كتبت الدراسات وألفت الكتب ، واثقلت عقول الطلبة ، وأوغلت الافكار ايغالا مقصوداً حتى تركت آثارا خطيرة ، ورسمت المناهج في مختلف المراحل لسد الابواب امام الافكار النيرة ، وحجب التفسيرات الايجابية التي تنطلق بين الفينة والفينة من الغيارى والحريصين على تراث الامة ، والمؤمنين بقدرتها الحضارية وقدرة ابنائهاعلى العطاء ..

لابد لي ان احدد الطريقة التي ارى وضعها موضع التنفيذ وهذا التحديد يشمل دراسة القيم الاساسية التي اختزنها الشعر والجوانب الاخلاقية الكريمة

التي عبر عنها والصفات الخيرة التي اتصف بها من خلال الشعر العربي اجمعه ابتداء من العصر الذي سبق الدعوة الى العصر الحاضر وهذه العملية تستدعي جهودا مكثفة واعدادا غفيرة من الدارسين تحدد منهجا واضحا وترسم ابعادا متميزة ، وتهيء قوائم كاملة باسماء الدواوين الشعرية وكتب الادب والامثال والنوادر ، واللغة والمعجمات والتأريخ والجغرافية ومجاميع الشعر وغيرها مما احتجن نصوصا ادبية فالمرؤة وكرم الخلق وحماية المولى والجار والسعي في لم شمل العشيرة والدفاع عن الحمى والحنين الى الارض واعانة المحتاج واغاثه الملهوف واطعام الجائع واحترام القيم الاخلاقية وتأكيد روح الشجاعة وتسفيه رأي المنهزمين ، وتحبيب الموت من اجل العقيدة، وكل المثل الاخرى يمكن اعتبارها اساسا من الاسس التي يحلل بموجبها الشعر في باب المديح او الفخر أو الحماسة وكذلك الامر بالنسبة للمعاني التي تؤكدها الاغراض الاخرى مثل الرثاء والهجاء والاغراض الداخلية التي تشمل عليها القصيدة والمعاني التي يتطرق اليها الشعراء وهي في غالبها موضوعات لها خصائصها الاخلاقية الرقيقة ، ولها اهميتها في بناء الشخصية والمجتمع في مرحلة من مراحل التاريخ .

ان تحليل الشعر وفق المعاني وتجميع الخصائص التي تؤكدها بغض النظر عن العصر الذي قيلت فيه ـ مع مراعاة تطور الصيغ التي تلازمها عبر العصور ـ سوف يترك المجال مفتوحا امام جحافل جديدة من الشعراء حاولوا ان يشاركوا في بناء المجتمع وتطور احواله ورصد الظواهر الخيرة ولكنهم اغفلوا بسبب تجاوز الطريقة التي عولج بموجبها درس الادب وفي ضوء هذا التحليل تدرس مثلا ظاهرة الحنين الى الارض من خلال المقدمات الطللية لان الطلل يمثل الوطن المكاني للشاعر ، وان الحنين اليه والوقوف عنده ، وسفح العبرات في ثنايا ثويه واحجاره ، ومحاولة تحديد الزمن الذي ابتعد الشاعر عنه مكرها ، تحدد لنا طبيعة المشاعر التي تنتاب الشاعر وهو يناجي ارضه ويسأل بضعة من نفسه ، كانت عزيزة عليه ، قريبة منه ولكن اكره على

الارتحال عنها . وأن هذه المشاعر التي تمثل الذروة العاطفية في القصيدة تحدد لنا صدق التجربة التي كان يتفاعل من خلالها الشاعر العربي وهو يقف حائرا فوق ارض تناثرت فوق احجارها صدق الاحاسيس وذابت فيحبات رمالها ارق العواطف ....

ان حديث الطلل يقترن بشكل مباشر مع حديث الارض والحنين اليها والالتزام بالدفاع عنها وان كل جزء من معالجة الشعراء له ، وكل وقفة من الوقفات تمثل الصورة الانسانية التي تركت اثارها فوق حركات العواطف التي عبر عنها الشاعر . ان تناول هذا الموضوع لا يمكن ان يتم من خلال التماس السطحي ، او الابتعاد عن المظاهر الحقيقية التي كانت تتركز في تعابير الشعراء او في الاساليب الوجدانية او الصيغ اللفظية التي تحمل دلالات المعاني وهم يتفاعلون بها او يتأثرون بمظاهرها .

ان هذه الاشارات توحي بعمق التناول الذي يجب ان تعامل به النصوص، والصبغة الانسانية التي تأخذ حجمها في هذا التناول لتستطيع النصوص اعطاء قدرتها الانسانية ، وايضاح ابعادها الوجدانية وان محاولة التدقيق في المعاني البارزة والدلالات الخافية التي يتلمسها الباحث وهو يحلل النصوص ويدقق اجزاءها ويربط بين كل ظاهرة لها مساس مباشر باطراف المشاعر الانسانية التي يتحسسها وهو يتحدث عن موضوع له صلة الوثيقة بوجودة واحساسه ومشاعره ، تشكل الالتفاته الاولى التي يجب الاخذ بها في دراسة الادب ، لتأخذ اتجاهها الحقيقي ، وتحدد مساره الانساني الذي اريد له ان يأخذه في مسيرته الطويلة ومعالجته التي عرف بها وهو يؤدي مهمته باخلاص ويؤكد التزامه بوعي ....

ومثل حديثنا عن الحنين الى الارض او الوطن والالتزام بالدفاع عنه ، يكون حديثنا عن الشجاعة وضروبها ، الشجاعة في قول الحق ، والجرأة في مواجهة الخصم ، والاعتراف بالخطأ من اجل معالجته ومجابهة الخصم ،

والاعتداد بالخصال التي تؤكد الصمود ، الشجاعة التي يندفع من اجلها الشاعر لحماية شرف القبيلة ، والذود عن حياضها ، والاستشهاد من اجلها ، ولابد ان يكون مفهوم القبيلة هو مفهوم القوم الذين ينتمي اليهم .. الشجاعة التي يسجل البطل من خلالها مضامين البطولة الفذة والتضحية النادرة ، والاقتداء بالنموذج ، الشجاعة في استطابة الموت عند الحرب ،ولابد ان يقدم لنا الشعر في كل مرحلة مفاهيم جديدة ومعاني مستحدثة ترتبط بواقع الاحداث ، وتؤكد سلامة الاتجاه وتكشف للناس الصورة الحية التي يرون فيها الرجل الفذ الذي اخذ على عاتقه مهمة التضحيةفانفرد بكل قوة ، وتقدم بكل ثقة يحمل اعباء الاندفاع ، ويلتزم باهداف ابناء قومه ليصبح صورة نموذجية ويحقق لابناء قومه آمالهم في النصر ، وطموحهم في الاعتزاز ، ان محاولة متابعة هذه المعاني من خلال قصائد الشعر ، ودراسة الصور التي تقدمها ، والاشكال التي تحددها والدلالات التي تؤديها ، ثم توحيد ذلك في دراسة موضوعية ، تحلل الواقع الاجتماعي الذي يمجد امثال هذه المعاني ، الى جانب التحليل النفسي الذي كان يدفع الناس والبطل الى اتخاذ هذا الموقف من خلال دراسة الجو النفسي العام والنتائج المترقبة ... ان هذه الدراسة والمتابعة للشعر ووفق هذا الاتجاه ابتداء من اقدم نص ، تشكل المرحلة الاولى لوضع القيم الانسانية التي عبر عنها الشعر موضع الدراسة الحية ، واستجلاء الجوانب الاجتماعية التي كان الشعر يمثل القناة الحية لها . وفي ظل هذه الدراسات التي تستقرأ النصوص استقراء حيا ، وتنسق المعاني تنسيقا موضوعيا شاملا ، وتوحيد الاشكال التي كانت تمثل التطلع الحقيقي توحيدا خاضعا لمنهجية سليمة تستكمل عندنا لوحة فنية واضحة ، وتكشف دراسة اخلاقية متميزة يمكن في ضوئها تحديد الخطوط الادبية التي اخذت مسارها في كل فن ، وفرز الاشكال الادبية التي شاركت في البناء الحضاري لهيكل الحضارة العربية الاسلامية ..

ان استجلاء امثال هذه المعاني لا يمكن ان يعزل عن القيم الانسانية التي كانت تؤمن بها الامة وان محاولة دراستها من خلال الواقع العام الذي تحركت فيه هذه القيم تشكل الصورة الاساسية لتكامل وحدة الثقافة العربية • المرتبطة بواقع الاديب ومجتمعه ، وان محاولة تحليلها تشكل محاولة استجلاء قدرة النصوص على التعبير الصادق عن هموم المجتمع وتطلعات ابنائه المتمثلة في هذه النصوص ، لانها استطاعت ان تستوعب المشاعر الانسانية والعواطف القومية التي تحسستها طائفة الشعراء وتحركت في اطار التعبير عنها • وبالتالي اصبحت قادرة على تحمل الرسالة الانسانية التي آمنت بها هذه الامة • لقد زخر الادب العربي بمعطيات اخلاقية كثيرة وهي معطيات تشكل المرتكزات الحقيقية لبناء المجتمع لصلتها الوثيقة بكل جزء من اجزائه ، وان الكشف عن هذه المعطيات من خلال الدراسة الشاملة ، والمتابعة التحليلة الصائبة تشارك مشاركة انسانية في رفع الاعباء الثقيلة التي تحملها المجتمع ، وتنقية النفوس ، وتصفية العادات وانهاء التخلف الذي لازم كثيرا من اوضاع الناس •

فدراسة تحرير المرأة في الشعر العربي من خلال متابعة منزلتها الرفيعة ومكانتها المرموقة ومشاركتها في الجوانب الحياتية ، وتأكيد وجودها عنصرا فاعلا من عناصر الاستجابة لمتطلبات الحياة ودراسة النماذج الكبيرة التي خلدتها فضليات النساء في المجالات الواسعة ، تشكل الى جانب الايمان المطلق بسلامة مسيرة الامة ــ النظرة الرفيعة التي اضطلع بها المجتمع العربي قبل الاسلام من اجل تحرير النفس وانهاء العبودية ، والانتفاع من المرأة باعتبارها قوة فاعلة ومؤثرة وقادرة على الوقوف بوجه مصاعب الحياة ، لقد ترك الشاعر في هذا المجال صورا خالدة واشكالا حية ،وخلد اسماء الخالدات من النساء وهو يتحدث عنهن باحترام يفوق كل احترام وتقدير لايدانية تقدير •• وان تتبع الظاهرة وفق معطيات العصور تحقق النماذج السليمة لمسيرة الحركة الفكرية والحضارية والثقافية التي منحها الادب العربي للمرأة •

لقد حاول الشاعر من خلال تأكيد هذه القيم ان يحرر مجتمعه من كل صورة من صور التخلف ويطوره وفق الاشكال التي يريدها ليجعل هذا المجتمع قادرا على تحمل مسؤوليته في المسيرة القومية وقد دلل هذا الشاعر على تكامل النظرة لانه لم يبتعد في كل صورة عن واقعه ، ولم ينفصل عن مجتمعه ، وقد وظف نتاجه وابداعه من اجل اصلاح هذا المجتمع ورسم الاهداف التي كانت ترتسم في اذهان ابنائه • ومن هنا جاء ادبه وحدة متكاملة من حيث الفكرة والنظرة والمعالجة وقد حاول ان يشد بينها من خلال المشاعر المدركة ، والاحاسيس المعبرة •

ان وضع الخطوط العامة لهذا المنهج ، ورصد الظواهر التي تبرز من خلال المواقف القومية والانسانية ، وتحليل الصور التي تعبر عن الجوانب الاخلاقية الرفيعة المرتبطة بخصائص المجتمع العربي والمنبثقة من حاجاته الحقيقية تشكل الخط السليم لاعادة النظر في كل المناهج الدراسية التي عالجت الموضوع ، وان توحيد الجهود ، وتنسيق العمل من اجل اعادة النظر في الموروث الادبي الموثق ، تعطي هذا الموروث قدرته على العطاء ، وتؤكد هذه القدرة في نفوس الجيل الذي اصبح قادراً على استيعاب تراث امته النافع ، وتقبل عطائها الثر •